

## رسالة الراهبات الإيطاليات في عيد الفصح

دمشق 2024/4/11 - الأب الياس زحلاوي

إن الراهبات اللواتي وقَّعن على هذه الرسالة، هنَّ راهبات حبيسات، أي إنَّهنَّ راهبات اخترنَ أن يعشنَ داخل ديرهنَّ طوال عمرهنَّ، دون الخروج منه قطعاً. وهنَّ ينتمينَ إلى رهبنة "الكلاريسات"، التي أسَّستها القديسة "كلارا"، في إيطاليا، في القرن الثالث عشر. ويُقمنَ في دير يقع في منطقة "أولا" (AULLA)، بالقرب من روما. وقد أُتيحَ لهنَّ الاطِّلاع على ظاهرة الصوفانيَّة، التي حدثت في العاصمة السورية "دمشق"، منذ أواخر شهر تشرين الثاني من عام (1982)، بحكم ما بينها وبين ظاهرة "الزنبقة بين الأشواك"، التي حدثت في روما، بإيطاليا، بدءاً من عام (2013)، من تشابه عجيب.

وقد سُمِحَ لهنَّ، على نحو استثنائيِّ بناءً على رغبتهنَّ الخاصَّة، بمغادرة ديرهنَّ، والجيء إلى دمشق، بمناسبة الذكرى الأربعين لظهور السيدة العذراء لميرنا، ليلة (18) كانون الأول/ ديسمبر، من عام (1982). وقد كان لإقامتهنَّ في دمشق لمدة شهر كامل، تأثير كبير في نفوسهنَّ، فقد لمسنَ خلاله لمسَ اليدِ دفء العلاقات بين الناس رغم الظروف الصعبة، والابتسام اللطيفة التي كانت تملو وجوه كلِّ من يقابلهنَّ، في نشاطهنَّ المتنوعة من لقاءات ومشاركات في الصلوات في العديد من الكنائس، وزيارات للأماكن الدينية والسياحية في دمشق، وخاصة زيارتهنَّ للجامع الأموي الكبير، التي كان لها وقع خاص جداً في نفوسهنَّ، لما حظي به حضورهنَّ من استقبال وترحيب عفويٍّ من جميع المتواجدين فيه يومذاك.

ولقد وافتنا بهذه الرسالة الاستثنائية باللغة الفرنسية، رئيسة ديرهنَّ الأمُّ أوكاريستيكا، فرأيت من واجبي أن أترجمها وأنشرها على أوسع نطاق، وبقدر ما يُتاح لي:

أُولا، (إيطاليا) في 2024/4/2

»

سلام لك يا مريم!

دموع...

إنه يوم الثلاثاء 2 نيسان 2024:

احتفلنا للتو بعيد الفصح، بحرارة.

وتذوقنا أيضاً فرح عيشنا المشترك، ثمرة تواجدنا معاً، الذي يُحدثه كلَّ عيد عظيم، عزاء وطاقة متجددة، ينبعثان

من تواجدنا معاً...

وهذا بعينه ما يحدث على نحو متفاوت في جميع الوقائع العائلية و/ أو الجماعية.

ولكننا اليوم، يوم الثاني من نيسان، فإنّ نظرنا وقلبنا لا يسعهما الانغلاق دون ما يحدث لإخوتنا وأخواتنا منذ زمان طويل، في غير هواده ولا رحمة، في المشرق الذي يجاورنا.

إنّ هذه الأرض، مهد أعظم الديانات في العالم، لا بدّ لها من أن تكون غالبية على كلّ إنسان، بوصفها وطناً روحياً. ولقد أصبحت غالبية علينا، يوم تمكّنا من زيارتها، فأقمنا في دمشق قرابة شهر من الزمن، وأُتيح لنا خلاله أن نثمن كرامة سكّانها، وإيمانهم وضيافتهم، وقد تبين لنا عبر هذه الخبرة، أنّ هذه الصفات مكّنت أناساً من ديانات مختلفة، أن يتعايشوا في سلام وتعاون. وقد أثار هذا الأمر فينا، إعجاباً عميقاً، لا سيما وأنه بدا لنا نابعاً بصفاء، من روح تقوى، أصيل ومتجدّر.

وإنّ الصورة التي لازمتنا على نحو خاص، عن المؤمنين المسلمين الذين التقيناهم، وأمضينا معهم فترات من الصلاة، هي بعيدة كلّ البعد عن الأنماط المتداولة الكثيرة (الكليشيهات)، التي تجعل منهم دائماً أصوليين، إرهابيين الخ...

وقد حرصنا على الحفاظ على علاقتنا مع العديد من أصدقائنا في الشرق الأوسط، فوصلتنا اليوم أنباء حديثة جداً، ومثيرة جداً، موثقة بصور وفيديوهات، حول المجزرة التي تدور في غزة، ليس فقط منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر عام 2023، بل أيضاً منذ مراحل سابقة، تناوبت على مدى سبعين عاماً. يا للتناقض العبيثي: نحن غارقون في قلب الأفراح الفصحية، وهم غارقون منذ عقود، في أشدّ المآسي دموية! وفي حين أنّ العالم الغربي يتميّز بجرائم تخمته، بلامبالاة واسعة حيال المآسي الإنسانية، وقيم الإيمان، يحتفل إخوتنا، عبر مآسي هذه الأيام، بصيام رمضان، في أمانة، وصلاة وتضحية، دونما أي تراخ، على الرغم مما هم فيه من وضع لا يطاق، مثلما أنهم يسعون للتعاون فيما بينهم، على الرغم ممّا يصيبهم من استنزاف جزاء ما بهم من حزن دائم، وجزاء افتقارهم إلى الخبرة الطبية الضرورية.

إننا في كل لحظة شديداً التآثر بكرامة وصلابة شعب برمته: فثمة أهل، وإخوة وأخوات، أقباء وأصدقاء، يواجهون فقدان ذويهم، دونما غضب، ودون التلّفظ بكلمات لعنة وحقد. بل هم ينطقون بكلمات غفران، ورحمة وتكفير للعالم بأسره، وإنه لأمر يبدو لنا بحقّ، عصياً على التصديق!

لقد شاهدنا أمهات يبحنّ بقلق خانق، عن أطفالهنّ المغيّبين، ويجدنّ جثثهم الهامدة، فيتحمّلنّ الآلام، بعيداً عن كلّ حميميّة معهودة في مثل هذه الحال، وكأئنّ العذراء مريم، أمّ يسوع! وإننا، في هذه اللحظات بالذات، وفيما كنّ ما زلنّ يحملنّ على أذرعهنّ، جنّامين أطفالهنّ، المشوّهة والمبتورة، سمعناهنّ ينطقنّ بما لا يمكن تصديقه وحدوثه، من كلمات، هي عينها كلمات الغفران التي نطقَ بها يسوع وهو على الصليب، ومشاعر هي عينها مشاعر مريم العذراء، أمّ الجميع، عند أقدام الصليب!

إن هي إلا كلمات ومشاعر، جهدنا أن نطيل التأمّل فيها، في هذه الأيام المقدّسة، والتي يعيشها إخوتنا حقّاً، في

لحمهم، باسطين بذلك مثلاً مدهشاً للعالم أجمع.

كيف لنا ألا نرى في هذه المشاهد المأساوية، مشاركة فعلية في ذبيحة المسيح، وفي آلام أمه الملتاعة؟

نحن المسيحيين، نعرف أنّ الحمرة المنسكبة في كأس القدّاس، ستحوّل إلى دم الربّ، على أن تضمّ إليها بضع قطرات من الماء، بوصفها رمزاً لإنسانيتنا. وإنّا لنرى في هذه الإنسانية، تلقائياً، دموع العذراء القدّيسة، وإنّها لأرقى وأنبّل ثمار البشرية. ذلك بأنّ هؤلاء الأمّهات، بدورهنّ، يذرفنّ دموعاً لا حقدَ فيها، ويقدمنّ بكامل معرفتهنّ، استشهاداً أبنائهنّ ودماءهم، صفحاً عن العالم، وطلباً لسلامه!...

واليوم، في الثاني من شهر نيسان، ليس بوسعنا سوى الاجتماع في صلاة، بعد أن قمنا بالتواصل مع العديد من أصدقائنا، في مختلف بقاع الأرض، كي نكون جميعاً قريبين من هؤلاء الإخوة والأخوات، في ما هم فيه من آلام... وإن كنا عاجزين، على الصعيد المادي، عن تقديم شيء يذكر، فإنّه يسعنا أقلّه، أن نضمّ دموعنا إلى دموعهم، وكأني بنا نسمع صوتاً يقول لنا:

"ابكوا! من له قلب، فليبك! فإنّ هذه الدموع سوف تنقذ العالم..."

إنّها تقدمتهم، تقدمه هؤلاء الناس جميعاً.

فلتصعد إلى السماء صلاة، ولتهبط على الأرض، لتطفى النار التي تلتهمنا!

ولنسأل الله الغفران للجميع!

ويسبب من صمتنا، فلنفع شيئاً ملموساً:

إنّ دموعنا هي هذا الشيء الملموس!"

الراهبات الكلاريسات الحبيسات «